الجماعة والأستاذية

الكاتب الصحفي / تامر المغازي

«الت» و «الت» وما بعدهما من حروف سيطرا على مصر٤٠ سنة ويزيد . . . بدايةٌ واحدةٌ لكلمتين ورطتا مصر في ما لا تحبه ولا ما نرضاه، وكان السبب فيهما في الحالتين «الجماعة»، على إختلاف مفهوم الجماعة بين مبارك و بين من ورِثَ حكمه.

فقد شغل «التوريث» مبارك طيلة حكمه فأعماه عن شعبه، و شغل ناظريه عما تحت قدميه من مشاكل، فظل كمن يجري لهدفٍ وأجلٍ محتومين وينظر مد بصره نحو أمله، ولا يرى ما يعيق تقدمه و تقدم بلده، كَلسَ الكراسي وعَقمَ النخب و جمدَ الأحزاب، بل وخربَ الحياة السياسية كي يظل جمال لاعباً وحيداً على الساحة، أعور وسط عميان، كي يبقي على فرصة جمال ذهبية كما هي طول الوقت، فهكذا ربما أرادت جماعته : الست سوزان.

ولكن غفلته عن تململ المصريين من حاشيته وعن زلزلة الأرض من تحت قدميه جعلاه يسترخي و يسدل جفنيه طوال اليوم و الليل ولمدة ١٠ سنين في شرم الشيخ، لا يلقي بالاً لنا ولا لأحوالنا، وربما يقول صديقي المحب

لحسني أنه بنى هذا الكوبري وشيد هذا المصنع ومهد هذا الطريق، والكلام مردودٌ عليه، فمبارك فعلاً عبر بنا مرحلة الثانوية بنجاحٍ وتفوق، ولهذا أنت تهلل يا صديقي، فمصر مكانها اليوم إلى جوار السودان والصومال واليمن، وهو مكانٌ يقيناً لا يليقُ بها، فمصر مكانها الطبيعي إلى جوار كوريا وتركيا وماليزيا، ومبارك في ٣٠ سنة كان يتوجب عليه أن يقودنا كي نجتاز مرحلة الثانوية تلك، لنخوض غمار الحياة الجامعية، و نحصل بعدها على الدكتوراه و«الأستاذية».

وجاء الحكام الجدد، و شغل بالهم حين استلموا الكرسي ما أسموه «التمكين»، ولم يستوعبوا أن البلد أهم من «الجماعة»، ولم يلقوا بالاً للسخط الشعبي، معتمدين في ذلك على تكتيكٍ معروفاً لهم، يعتمد على الزهق، يريدونك أن تمل وتزهق، تماماً كما أراد لك سلفهم، و يرسمون في ذلك خطة شهيرة : إخلق عدواً كثيرَ العيوب لتتمكن من الفوز عليه قبل أن تبدأ المباراة، فالفوز مضمونٌ على خصمٍ كسيح.

وظلوا يلقون للشعب بقنبلة دخانٍ وأخرى، يكيلون الذم لمعارضةٍ أراها كانت تخدم أغراضهم باقتدار، ويفرحون كلما تكلم البرادعي أو حمدين أو موسى، فقلوب محبيهم تبغض الثلاثة، و ظنوا أن المباراة محسومة، فحرب الشائعات مستعرةٌ ومتقدة، فكأنما الشعب كله هو من اتباعهم الفرحين بخصومتهم مع الجبهة أو أن الشعب كله هو من محبي الجبهة، هكذا يصورون لأنفسهم، وبالتالي لا يسمع الحاكم وملأه ما يدور في الشارع، تحت قدميه، عند الصيدلي في صيدليته، عند التاجر في بقالته، عند القهوجي في مقهاه، عند طابور انتظار ملو الوقود في «البنزيمة»، فالناس تتململ، ولم يدر أحدٌ كيف سينفجرون، و كنت أخشى يوماً ينفجر فيه مثلاً هؤلاء الرجال، أن يبلغ الكفر مداه بسائقي النقل و الأجرة من طول صبرهم امام محطات الوقود، فأتخيلهم في أسوأ كوابيسي يقطعون كل طرق مصر و يوقفون حياتها التجارية الداخلية تماماً، والحكام ساعتها سيتفاجأون، بينما نحن لا.

فطريق التوريث كانت طويلة لمباركَ و نجلِه، و هكذا أظن أن الإخوان خططوا ولا يزالون، فهدفهم بعيد الأجل بصورة مرعبة، وهم في طريقهم كانوا يدوسون على كل قيمةٍ وغاية نادوا بها قبل الثورة، قبل الكرسي حتى، و«الجماعة» كانت تخطط للجالس على كرسي الحكم تماماً كما خططت «الجماعة» السابقة لمبارك، الفارق فقط أن في عهد مبارك كانت جماعته طليقه وجماعتهم محظورة، وعندما حكم الإخوان ظلت جماعته طليقة وباتت جماعتهم محظوظة، وبعد سقوطهم استمرت حرية سوزان وباتت حظوظ جماعة الإخوان في الحرية ضئيلة، وظللنا نحن كما كنا، نحلم بأستاذيتنا ويسعون لأستاذيتهم.

obeikan.com